

جرش في كتب البلدان الإسلامية

بعد أن أتم المسلمون فتح بلاد الشام، قسموها إلى وحدات إدارية أطلق عليها اسم أجناد وضمت: جند الأردن، وجند دمشق، وجند فلسطين. وجند حمص. أما جند قنسرين والعواصم فقد أضيفت في العصر الأموي الأول أيام الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بن أبي سفيان^(١).



جرش في خارطة الفتوح الإسلامية للشام

(١) أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني بن الفقيه (ت: ٣٥٠هـ / ٩٦١م)، مختصر كتاب البلدان، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ص ١١١.

وذكر ابن خرداذبة (٢٨٠هـ / ٨٩٣م) "جند الأردن" بقوله: "كورة الأردن: كورة طبرية كورة السامرة كورة بيسان كورة فحل كورة جرش كورة بيت راس كورة جدر كورة آبل كورة سوسية كورة صفورية كورة عكا كورة قدس كورة صور"^(١). وعن طريق ساحل الأردن قال: "إنها تتجه إلى صيدا ومن ثم إلى صور ثم إلى القدس ثم إلى قيسارية". ويشير أحمد بن محمد بن الفقيه الهمذاني (ت: ٢٨٦هـ / ٨٩٩م) عن "جند الأردن": (كور الأردن: طبرية، والسامرة وبيسان، وفحل وكورة جرش وعكا وكورة القدس وكورة صور ومن طبريا إلى اللجون (٢٠ ميلاً)^(٢)، في حين يذكر اليعقوبي (ت: ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) في كتابه تاريخ اليعقوبي عن بلاد الشام وجرش بقوله (ومن جند الأردن من الكور: صور وهي مدينة السواحل وبها دار الصناعة ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم وهي حصينة جليلة. ومدينة عكا والقدس وهي من أجل كوره، وبيسان وفحل، وجرش والسواد. وافتتحت كورة الأردن في خلافة عمر بن الخطاب، افتتحها أبو عبيدة عامر بن الجراح سنة أربع عشرة للهجرة / (٦٣٥م)، وقد ذكرها من أملاك العباسيين)^(٣).



- (١) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، (بيروت: دار احياء التراث، ١٩٨٨م)، ص ٨٨-٨٩، الغرايبة، جرش في عيون الجغرافيين، ص ١٣٠.
(٢) الغرايبة، المرجع السابق، ص ١٣٥.
(٣) أسامة شهاب، جرش تاريخها وحضارتها، (عمان: دار البشير، ١٩٨٩م)، ص ٤٥.

وقد وصف المقدسي مدن جبل جرش، وبعض قراها بقوله (أذرعاً مدينة قريبة من البادية، وجبل جرش، يقابل جبل عامله كثير القرى، وجلّت طبرية بهذين الجبلين)^(١). وعلى الرغم من هذا الفتح الإسلامي إلا أن المسلمين لم يسكنوا جرش في بداية الفتح محافظة على أخلاق الصحراء وتعاليم الإسلام التي كانت تنفر مما في مدن الروم والفرس من مظاهر التهلك على الدنيا. وانتشار الفسق والفجور، وهذا ما يثبت قلة وجود المساجد الإسلامية بين أنقاضها، وتحولت طرق التجارة عن جرش. ومن جراء هذه الحروب الكثيرة بسبب تغير الأحوال السياسية، وتقلّب الأيام، لحق بجرش خسران عظيم، ومما زاد في نكبتها الزلزال الذي هزها عام (٧١٧م) في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، والزلزال الآخر الذي لحقها عام (٧٤٦م)، في أواخر حكم الأمويين ففضى على معظم أبنيتها^(٢).

ووصف ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) جرش في كتابه "معجم البلدان" بقوله: جرش اسم مدينة عظيمة كانت، وهي الآن خراب. حدثني من شاهدها. وذكر لي أنها خراب. وبها آثار عادية، تدل على عظمتها. وفي وسطها نهر جارٍ يدير عدة رحى عامرة إلى هذه الغاية، وهي في شرقي جبل السواد من أراضي البلقاء وحواران من عمل دمشق وهي تشتمل على ضياع. وقرى، يقال للجميع جبل جرش. ويخالط هذا الجبل جبل عوف، وإليه ينسب حمى جرش، وهو من فتوح شرحبيل بن حسنة في أيام عمر - رضي الله عنه - وإلى هذا الموقع قصد الشاعر المشهور أبو الطيب المتنبي أبا الحسين علي بن أحمد المرّي الخراساني ممتدحاً صاحب جرش عام (٣٣٣هـ)، وأقام فيها حتى طلبه بدر بن عمار صاحب طبريا، فخاف المتنبي وهرب إلى البادية بعد أن ودع المرّي هذه الأبيات:

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الأول، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م)، ص ٣٥ - ٤٢.
(٢) ابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جزء ٣، تحقيق أحمد زكي. (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت)، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

لا تنكرن رحيلي عنك في عجل فإنني - لرحيلي - غير مختار
وربما فارق الإنسان مهجته يوم الوغى - غير قال - خشية العار
وقد منيت بحُساد أحار بهم فأجمل نذاك عليهم بعض أنصار^(١)
وذكرها ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) في كتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" بقوله: ومن ذلك مدينة جرش من بلاد حوران يحكى الهول عن غرائب آثارها. وقد أضحت خاوية على عروشها خالية من أهلها وسكانها، لا يحس فيها حسيس ولا يوجد فيها أنيس. أما المقدسي فقد لفظها بفتح الجيم، ووصف جبل جرش بأنه رستاق مدينة أزرعات وأنه يقابل جبل عامله في شمال فلسطين وذكر أن جبل جرش كثير القرى واسع الخيرات^(٢). ويعلق الباحث الدكتور يوسف غوانمة حول ما أورده المصا دار الإسلامية (كتب البلدانيات) وهي أن المقدسي الذي عاش في القرن الرابع الهجري لم يذكر شيئاً عن خراب مدينة جرش ولكن ابن فضل الله العمري الذي عاش في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ذكر أنها خاوية على عروشها، مما يؤكد أن مدينة جرش بقيت عامرة - على الأقل - طيلة القرون الخمسة الأولى للهجرة^(٣).

وهذا شيخ الربوة الدمشقي (ت: ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م) يصف جرش في كتابه "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر": (فأما جرش فمنها أتلال، وجبال وحجارة منقولة، وبعض بناء أبوابها قائم في الهواء نحو خمسين ذراعاً. وبهذه المدينة موضع كصورة نصف دائرة مقطوعة بحائط به مجلس للملك. وأما النصف المستدير فإنه مدرج أدرج بعضها فوق بعض وهي دوائر كل دائرة فوقانية أوسع من السفلى وبين هذه الدرج الدائرة أبواب

(١) ابن فضل الله العمري، ج ٣، ص ٣٢٠.

(٢) شيخ الربوة الدمشقي (ت: ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٣م)، ص ٧٥-٢٠٠، ٧٦. الغرايبة، جرش في عيون الجغرافيين، ص ١٤٤.

(٣) غوانمة، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن، ص ٥٠-٥١. غوانمة، المساجد الإسلامية، ص ٢١-٢٢.

ومسالك، وكل درج عليها مرتبة من الناس، يقفون عليها طبقات طبقات، بحسب منازلهم، عند الملك وكلهم ينظرون إلى الملك وهو ينظر إليهم، كلهم لا يحجبون عنه ولا يحجب عنهم في ذلك المجلس، وكأنما هو ليوم الحكم العام فقط. وبالقرب من هذا الملعب أيضاً، ملعبٌ فيه عُمُدٌ طوال قوائم وفي كل منهن بكرة، وهن مستديرات المراكز كصورة دائرة، وكأنما على رؤوسها من الحجارة عتبات من عمود إلى عمود، وفوق ذلك أبنية لأهلها. وآثار ذلك مشاهدة إلى اليوم ولا يُعلم في الشام من الآثار مثل هاتين المدينتين عمان وجرش إلا بمدينة بعلبك، وبباب البريد من دمشق المحروسة والله أعلم^(١).



جرش في ستينيات القرن العشرين

وقد نشر المسلمون بعد دخولهم إلى بلاد الشام الفكر والثقافة الإسلامية في جميع المراكز الحضارية في بلاد الشام وتعدى ذلك إلى المدن والقرى، وكانت المساجد هي بؤرة الإشعاع الفكري الإسلامي، يجلس فيها الفقهاء والعلماء يعلمون الناس ويفقهونهم بأمور دينهم، ويعلمونهم القرآن الكريم وقد كان لمنطقة شرقي الأردن دور في تطور علم الحديث وكانت العقبة وعمان وعجلون والكرك من المراكز المهمة لعلم الحديث. وكذلك الأمر بالنسبة لمدينة جرش والذين سنوردهم بمؤلفاتهم في باب الثقافة والفكر^(٢).

(١) حداد، ونعمان، المرجع السابق، ص ١١٧-١١٩. غوانمة، التاريخ الحضاري، ص ١٨٠.

(٢) حداد، ونعمان، المرجع السابق، ص ٩٦، ١٨٥.

وقد كانت جرش على ارتباط وثيق بمدينة دمشق منذ الفتح العربي الإسلامي، ولذلك رحل إلى مدينة دمشق طلاب العلم للأخذ عن فقهاءها وعلمائها. ومن جرش نبغ العديد، ومنهم: أيوب بن حسان الجرشي، الذي روى الحديث عن موسى بن بشار والخزاعي والمثنى بن الصباح وغيرهم. وروى عنه بعض العلماء وتذكر كتب التراجم: هشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن وذكره ابن عساكر في كتابه على أنه من رواة الحديث. وكذلك العالم: سليمان بن أحمد بن محمد بن سليمان الجرشي، من علماء الحديث الذين استقروا في مدينة دمشق. وروى عنه عدد كبير من العلماء وطلاب الحديث، وعنه روى البخاري وأبو حاتم وأحمد بن حنبل وحنبل بن إسحاق. ويقول عنه ابن عساكر (إنه كان فقيهاً حافظاً، رحل من دمشق إلى العراق حيث حدث وروى عن علماء بغداد وغيرها)^(١).

وتورد كتب التراجم فيمن ينسبون إلى مدينة جرش: سليمان بن أحمد بن محمد بن سليمان الجرشي وعبد الوهاب بن هشام بن الغاز الجرشي ويزيد بن الأسود الجرشي ويونس بن القاسم الجرشي^(٢)، بل هناك بعض العلماء والفقهاء الذي ينسبون إلى المنطقة المحيطة بمدينة جرش ومنهم محمد بن أحمد بن موسى بن عبد الله الكفيري، من قرية الكفير جنوبي شرق مدينة جرش، وتبعد عنها (١٥ كم)، وله عدة مصنفات منها كتاب التلويح إلى معرفة الجامع الصحيح، وكتاب الأحكام في أحكام القرآن اختصره وسماه "منتخب المختار في أحكام المختار" واختصر الروض للسهيلي وأسماه "زهور الروض ومعين النبيه على معرفة التنبيه. وكتاب نكت التنبيه"^(٣).

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء السابع، دار الأفاق الجديدة. ص ١٩٧.
(٢) السخاوي (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الجزء السابع، (بيروت: مكتبة الحياة، د.ت)، ص ١١١-١١٢. حداد، ونعمان، ص ٩٦.
(٣) إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، ص ٣٥.

ومن علماء قرى جرش في العصر الإسلامي محمد بن عثمان بن عيسى بن سليمان البرماوي، وشمس الدين بن عماد الدين اسماعيل بن محمد بن إدريس الشافعي الريموني والفقير الشيخ محمد الريموني^(١). وهناك العديد من العلماء والفقهاء ممن ينسبون إلى منطقة عجلون، والتي تقع جرش بالقرب منها، وكل من ينسب إلى هذه المنطقة يسمى "العجلوني"^(٢).



نشاطات المعهد الجمهوري مع المجتمع المحلي

ومن المظاهر الحضارية في جرش في العصر الإسلامي المسجد الأيوبي في ريمون والمسجد الحميدي في جرش^(٣). كما يوجد مسجد إسلامي في سوف يعود لعهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ومقامات في دير الليات والنبى هود الإسلامية وغيرها من المساجد ومقامات لرجال الدين والأولياء والصالحين سنرد على تفصيلها لاحقاً.

(١) الغزي، الكواكب السائرة، ص ٢٨٨.

(٢) غوانمة، التاريخ الحضاري، ص ١٨٠.

(٣) غوانمة، المساجد الإسلامية، ص ٢١-٢٢.